

الجهاز الأمني في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

خير الدين سعيدي

ماجستير تاريخ مغاربي حديث ومعاصر

أستاذ التاريخ الحديث

جامعة سطيف (٢) – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

خير الدين سعيدي، الجهاز الأمني مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع عشر؛ مارس ٢٠١٣. ص ١٣٦ – ١٣٨.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

ملخص

د مدينة الجزائر واحدة من المدن المغاربية التي شهدت نموًا كبيرًا وتطورًا نوعيًا في مجالات عديدة وبالأخص في العهد العثماني، فبعدما كانت تُعتبر مجرد مدينة صغيرة تخضع للطرف الأقوى في الصراع الزّيّاني الحفصي، [1] انقلبت حالها وتطورت أوضاعها فأصبحت محل القيادة السياسية والعسكرية العثمانية في بلاد المغرب، وعدها الكثير من الرّحالة والمؤرخين العاصمة الثانية للخلافة الاسلامية بعد اسطنبول، واعتبرتها بعض الكتابات اسطنبول الصغرى. [2] ويمكن إرجاع ديناميكية هذا التطور الاقتصادي والاجتماعي في المدينة للعديد من العوامل، على رأس هذه العوامل النظام الأمني أو بالأحرى المؤسسةُ الأمنية في مدينة الجزائر والتي سنحاول تسليط الضوء عليها من خلال صفحات هذا المقال.

مقدمة

كثيرًا ما لقي النظام الأمني داخل المدينة ثناء الرّحالة والمؤرخين سواء المحليين منهم أو الأجانب، وعُدّ في الكثير من الكتابات نظامًا مميزاً قلّما وجد نظيره في المنطقة. وهو ما أهل مدينة الجزائر في ظرف وجيز لتصبح أفضل بلاد أفريقية عمارةً وتجارةً، وأسواقها أنفذ سلعًا كما وصفها التمجروتي في رحلته.(٣) كما أن الإشرافَ الشخصي لحكام الجزائر على اختيار رؤساء الأجهزة الأمنية ورؤساء الشُرطة على وجهِ الخصوص يُوَضِح أهمية هذه المناصب وحساسيتها. يمكننا تقسيم المؤسسة الأمنية في مدينة الجزائر إلى جهازين أساسين هما جهاز الأمن العام و جهاز الأمن الخاص.

أولاً : جهاز الأمن العام

والذي ينقسم بدوره حسب الدارسين إلى قسمين أساسيين يختلفان عن بعضهما في التنظيم والمهام هما:

١- قسم الأمن النهاري:

يعتبر العصب الأساس للحياة الأمنية في مدينة الجزائر، يقوم بالإشراف على رئاسته وتسيره كاهية(٤) الخزناجي(٥) تخضع له مجموعة من الفرق أهمها فرقة حرس الأسواق والذين كانوا في الغالب من البسكريين يبلغ عدد عناصرها ١٥٠ فردًا مقسمين على أحياء المدينة خاصةً حيث تتواجد الأسواق، وكانت كل مجموعة تحتفظ بمفاتيحِ الحيّ المسؤولة عن حفظ الأمن به، فتقوم بفتح أبواب الحيّ صباحًا وإغلاقِه ليلاً في أوقات محدّدة، يخضع أفراد هذه الفرقة إلى أوامر قائد يعرف باسم أمن البسكريين.(٦) و كان في غالب الظّن المسؤول المباشر عن حفظ الأمن أمام كاهية الخزناجي.

إضافة للفرقة السالفة الذكر، توجد فرقة أخرى لاُ تقل أهميةً عن فرقة البسكريّين يمشي أفرادها ضمن مجموعة لا تقلّ عن إحدى عشرً عنصراً ، تخضع لإمرة قائد يعرف باسم باش(٧) شاويش، وتعرف باسم فرقة الشواش، استعملت هذه الفرقة °لأولّ مرة في عهد الدايات وبالتحديد سنة ١٦٧١، تميزت هذه الفرقة من خلال لباسها بحيث كانت يرتدي عناصرها قُمصانًا خضراء اللون بأحزمة حمراء عريضة، ويضعون طاقيات على رؤوسهم من الجلد الأبيض، وينتعلون أحذية حمراء تمتدُ حتي الساقين ، لم يضطر عناصر هذه الفرقة لحمل البنادق أو الخناجر لعدم الحاجة إليها، إذ كان معظم سكان المدينة يُكنّونَ لهم الاحترام ويطيعون أوامرهم في الحال.(٨)

٢- قسم الأمن الليلي:

نفس الأمر بالنسبة للقسم الليلي من عملية حفظ الأمن فقد اختلف كثيرًا الدارسين والباحثين فيما يخص المسؤول عن الأمن في هذه الفترة.

فيرى أندري ريمون في كتابه عن المدن العربية الكبرى في العهد العثماني أنّ المزوار(٩) هو المسؤول عن الشرطة الليلية، كانت مهمته تنحصر في مراقبة نشاط الحانات ليلاً،(١٠) وكان يساعده في عمله هذا مجموعة من العناصر غير معلومة العدد، و يُعِينه في هذا العمل أيضًا قائد الزواوة(١١)

الذي أوكلت له بمعية خمسة عشر فردًا من الجُند الانكشاري [١٢] مهمة القبض على الأتراك، ولهذا أُشترط في قائد زواوة أن يكون تُركيا، ولا يُعدّ تكليف أحد الضباط الأتراك بالقبض على جندي تركي مثله أمرًا استثنائيًا [١٣]، إذ كثيراً ما استفادت هذه الفئة من نظام خاص في العقوبات والقضاء وغيرهما من الأمور،[١٤] وبالإضافة إلى المزوار الذي كان مسؤولاً عن الشرطة الليلية كان كل من شيخ البلد وآغا الإنكشارية يقومان ببعض اختصاصات الشرطة داخل مجموعاتهم ، كما أُتبعت مراقبة الحمامات ومنازل الدعارة لموظف آخر في الجهاز الأمني يعرف باسم قول آغا و لعله هو نفسه قول أوغي باش جاويش في اسطنبول الذي كانت مهمته محصورة في تأديب الجند الإنكشاري المخالف للأوامر، يتألف لباس القول آغا من قبعة رأس على شكل كتلة حمراء مطوقة بقماش أبيض وينتعل حذاء أحمر يمنيًا.[١٥]

كان يَخضع لإمرة القول آغا في مدينة الجزائر وحدةً مكونةً من أربعين عنصرًا مكلّفين بحفظ الأمن ومراقبة أماكن اللهو والمجون في أزقة المدينة، يعتبر القول آغا المسؤول الفعي عن حفظ الأمن أمام الخزناجي.[١٦] كما تتواجد أيضًا فرقة مكونة من خمسة عشر فردًا من اليُولداش[١٧] تقوم بمراقبة حضر التِجوال في أزقة المدينة بعد غلق أبواب الأحياء،[١٨] ويمنع على أعضاء هذه الفرقة مغادرة الأحياء المسؤولة عنها بدون ترخيص. هذا بإيجاز تصوير مبسط لجهاز الأمن العام بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، والذي تم أساسًا بتعقيد تشكيلاته، وغموض اسراتيجية كل فرقة والمهام المنوطة بكل فرد ضمنها.

ثانياً :جهاز الأمن الخاص

نقصد بهذا الجهاز الحرس الخاص بحاكم الجزائر في مراحل الحكم العثماني المختلفة، يعتر هذا الجهاز الأكثر حساسية إذا قورن بغيره ، حيث أنه يحدد بشكل كبير تواجد الحاكم في السلطة من عدمه، ولهذا كثيراً ما حاول حكام الجزائر– عندما يعينون حديثًا – استمالة عناصر هذا الجهاز، منّ خلال قيام معظم الدايات والباشاوات بعد تَعينهم بِصرف زيادات في مُرتبات عناصر هذه الفئة لضمان ولائهم،[١٩] يخضع اختيار عناصر هذه الفئة إلى العديد من الشروط كالانضباط والجِدّية والشجاعة بالإضافة لقِدم الخدمة في صفوف الجيش الانكشاري أو ما يمكننا الاصطلاح عليه الخبرة العسكرية، فالآغا يقوم شخصيًا باختيار العناصر المكونة لهذه الفرقة، لا يتجاوز عددهم في الغالب خمسة أشخاصٍ تنحصر مهمهم في مرافقة الحاكم حيث حلّ أو ارتحل، فكانوا يرافقونه عند ذهابه للمسجد، وفي نزهته العادية،[٢٠] ويتميزون في لباسهم ورُتبهم عن باقي أفراد الجيش الانكشاري .

كما توجد فرقة ثانية تتكون من عشرين فردًا يُعرفون باليا باشا،[٢١] تكون مهمتهم أيضًا مرافقة الحاكم الى المسجد بالتحديد عند ذهابه لأداء صلاة الجمعة.[٢٢] بالإضافة لما مرّ بنا من تشكيلات للجهاز الأمني الخاص تحدّث الزّهار في مذكراته عن فرقة تعرف بالنُوبجية،[٢٣] وهي فرقة عسكرية مُكونة أساسًا من أربعين عنصر تشابه مهامهم مهام رجال الحرس الجمهوري حاليًا، تقوم هذه الفرقة بعمل برتوكول التشريفات الخاص بالحاكم حيث تمنح نوعًا من الهيبة لحاكم الجزائر، يصطّف عشرون فردًا منها على يمين الممر المؤدي إلى دار الملك وعشرون آخرون على يسار نفس الممر، يقوم عناصر هذه الفرقة برد السّلام على الوزراء والشخصيات الهامة التي تأتي لزيارة الحاكم في دار الإمارة بأعلى صوتها ، كما تقوم بالدّعاء للفرد الذي يدخل على الحاكم بالسداد والخير وطول العُمر، ترجع زمام القيادة في هذه الفرقة لقائد يعرف باسم خُوجة الباب، يقوم بتَسلمَ أسلحة الوزراء وجميع من يدخل للحاكم ثم يُرجعها لأصحابها عند مغادرتهم.[٢٤]

تعتبر الفرق التي تحدثنا عنها أبرز التشكيلات الخاصة بالحراسة الشخصية لحاكم الجزائر، ومعظم الاغتيالات التي كانت تقع في وسط الدايات والآغوات لا تحدث إلا بعد سُخط هذه الفئة أو تواطئها.

خاتمة

إن المؤسسة الأمنية في مدينة الجزائر على الرغم من تعقيدات تشكيلاتها والغموض الذي لا يزال يكتنفها، فإنها كانت ناجحةً إلى حد بعيد – خاصة جهاز الأمن العام– في القيام بمهامها، الأمر الذي جعل القُنصل الأمريكي يُغدق في الثناء على النظام الأمني في المدينة قائلاً في مذكراته: (...لا توجد مدينة في العالم تبدي فيها الشرطة نشاطاً أكبر مما تبديه الشرطة الجزائرية، ال لا تكاد تفلت عنها رقابة جريمة،كما أنه لا يوجد بلد يتمتع فيه المواطن وممتلكاته بأمن أكبر...).[٢٥] وهذا الثناء لا يأتي مُجاملة أو من فراغ وإنما يعود لطبيعة التركيبة الاجتماعية[٢٦] لمدينة الجزائر من جهة – إذ كانت عبارة عن فسيفساء اجتماعية يصعب احتوائها والسيطرة عليها – ومن جهة ثانية إلى طبيعة سكان هذه المدينة إذ كانوا في معظمهم رياس بحر متميزين حتي عن غيرهم من رياس بحر في العالم بجسامتهم وقوتهم العضلية.

الهوامش :

(١) انظر: تفصيل ذلك **تاريخ ابن خلدون**، دار الأعلى، بيروت، لبنان، ج١، ص ١٠٠ وما يليها.

(٢) أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٧، ج١، ص١٧٠.

(٣) محمد الجزولي التمجروتي : **النفحة المسكية في السفارة التركية**، ط الأولي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٨، ص٩٠.

(٤) لفظة تركية فارسية أصلها كدخدا ومعناها رَب الدار، كُتب في بعض المصادر كيخيا و كخيا وذكره هايدو باسم كاهية. اعتمد رسميًا في العهد العثماني كلقب يطلق على كل معاون أو مساعد لموظف كبير في الدولة، فعمله أشبه ما يكون بعمل النائب. انظر تفاصيل ذلك:

مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦، ص٣٦٣.

Diego de Haèdo: ***Topographie et histoire générale d'Alger*** .TR . Berdrigger et Monnereau. p73.

غزوات خير الدين وعروج: لمؤلف مجهول، تحقيق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٣٤، ص٢٤ الجزء الخاص بالتعليقات.

(٥) عائشة غطاش: **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (١٧٠٠ – ١٨٣٠)**، منشورات أناب ، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٦٩.

(٦) ريمون أندري: **المدن العربية الكبرى في العهد العثماني**، ترجمة. لطيف فرج، ط الأولى ، دار الفكر للدارسات، ص ١٠٥، ١٠٦ .

(٧) كلمة تركية تعني الرأس شاع استعمالها كلقب من ألقاب التشريف في العهد العثماني، منح هذا اللقب لكبار ضباط الجيش والبحرية انظر:
مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ص٦٥.

(٨) علي خلاصي : **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، دار الحضارة، الجزائر ٢٠٠٧، الطبعة الأولى، ص١٨٩.

(٩) كلمة أمازيغية تنطق أمزّار أو أمغّار، ويقصد بها في العُرف الأمازيغي القائد أو المقدم أو الأوّل، كما قد يقصد بها في العربية كثير الزيارة.

(١٠) ريمون أندري: **المدن العربية الكبرى**، ص١٠٦ .

(١١) عائشة غطاش: **الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر**، ص٦٩.

(١٢) لفظة تركية أصلها "ينك جري" أو "يكيجريلر" ويقصد بها العسكر الجديد ، كانت مشكلة من الأطفال المسيحين خاصة الأيتام وأسرى الحرب، يُنشئون على الولاء التام للسلطان العثماني، قيل أن أوّل من أمر بتشكيل هذا الجيش السلطان أور خان سنة ١٣٣٠، بلغ تعداد هذا الجيش في عهد سليمان القانوني نصف مليون مجند انظر:
مصطفى عبد الكريم الخطيب: المرجع السابق، ص٥٠.

(١٣) قيل أنّ هذا العمل أنيط بالأتراك حتي تبقى هيبة الجيش الانكشاري في أوساط المجتمع، ومثاله حاليًا المحاكم والسجون العسكرية.

(14) Joao- Mascarades: ***Esclave a Alger-T- Paul Teyssier***. Édition Chandeigne .Paris.1993. p96.

(١٥) مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ص٣٥٦.

(١٦) عائشة غطاش: **الحرف والحرفيون في مدينة الجزار**، ص٦٩.

(١٧) كلمة تركية تعني الصاحب أو الرفيق.

(١٨) علي خلاصي : **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، ص١٨٩.

(19) Diego De Haédot: op. Cit. p.p.60, 64.

(20) op. Cit. p61.

(٢١) لفظة تركية أُطلقت على رئيس الجند في الجيش العثماني.
مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص٤٤٥.

(22) op. Cit. p61.

(٢٣) ذكرها الزّهار ي مذكراته بثلاثةِ ألفاظٍ ي الأونباجية، والنباجية، والنوباجية، والصحيح ما ذهب إليه خليفة حماش من أا النوبتاجية، وي كلمة مركبة من "نوبت" ويقصد ا التداول أو النوبة ي اللغة العربية، والأداة "ي" وال تطلق للدلالة على المهن أو الحرف، وتطلق الكلمة مركبة على "الجنود الذي يتداولون أو يتناوبون على الحراسة". انظر:
أحمد الشريف الزهار: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق توفيق المدني، دار البصائر، الجزائر،٢٠٠٩. خليفة حماش: **أهمية المصطلحات الركية ي دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية**، ضمن كتاب تحية وتقدير للأستاذ الساحي أوغلو، منشورات مؤسسة التميم للبحث العلم، زغوان
.١٩٩٨

(٢٤) أحمد الشريف الزهار: المصدر نفسه، ص٦٢.

(٢٥) عائشة غطاش: المرجع نفسه، ص٦٩.

(٢٦) انظر: عن الركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر، أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقاي**، ج١، ص١٤٨وما يلا.